المملكة العربية السعودية

جامعة الرياض

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

Riyad University

RIYAD, SAUDI ARABIA

No. .... : الرقم   Date .... : التاريخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤٠٨٤ ف ٨٤٦ | ٤

العنوان: (كتاب المستصفى من اصول الفقه)

المؤلف: محمد بن محمد الغزالي

تاريخ النسخ: الرابع عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: [illegible] ٤٢٥ [illegible]

ملاحظات: ١٨٩
٢٠٤ ع

٣٧٣

١٨٩
أ٠غ (كتاب) الاربعين في أصول الدين، تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠-٥٠٥هـ). كتب في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا.
١٠ ق
٤٠٨٤ ٢١ س ٢٥×١٧ سم
نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد، ناقصة الأول والآخر.
الأعلام ٧ : ٢٤٢
١- الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى
أ- الغزالي، محمد بن محمد - ٥٠٥هـ بد تاريخ النسخ.

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة
بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما الى بقائك في الاخرة فتفكر فيه
لينكشف لك جهلك على القرب ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع العفو
فانه رحيم كريم فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع
العثور على وجدان كنز في خراب فان الله تعالى كريم ولا ينقص من
ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تاخذه فان قلت
ذلك نادر وان كان داخلا في قدرة الله تعالى فاعلم ان توقع العفو
مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في الخراب بل ابعد منه واندر
وقد نبهك الله تعالى فقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ورغبك
عن طلب المال فقال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فما بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه ثم تخدع نفسك بالكرم
في الاخرة وانت تعلم ان رب الدنيا والاخرة واحد فصل لعلك تقول
عواقب الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأن اليها قلبي واما امر الاخرة
فلم اشاهده ولست اجد التصديق الحقيقي في قلبي به فلذلك فترت
رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود نسيئة ولست اثق به فاقول
لو كنت من ارباب البصائر لانكشف لك امر الاخرة صريحا كما انكشف
لك امر الدنيا واذ لم تكن من اهله فتفكر في اقاويل ارباب البصائر فان
الناس في امر الاخرة اربعة اصناف صنف اثبتوا الجنة والنار كما جاء
به القران وقد سمعت انواع نعيمها وانكال جحيمها وصنف لم يثبتوا
اللذات والالام الحسية بل اثبتوها على سبيل التخييل كما في المنام حتى

يكون كل واحد في جنة او نار يراها وحده وزعموا ان تاثير ذلك فيه
كتاثير الحقيقة لان تألم النائم كتألم اليقظان وانما يخلصه عنه التنبه
وذلك في الاخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الاما عقلية ولذات
عقلية وذكروا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باستشعار لذات
الملك واستشعار زوالها فان زوال الملك يؤثر الاما كثيرة بدنية على ان
لا يظفر به عدوه وياخذ مملكته ويستحزم مع ان ظفر العدو ولا يؤلم
البدن وهؤلاء هم اصناف النظار الثلاثة وفيهم الانبيا والاولياء
والحكما وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة وان
السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله تعالى ولو مرضت
ولم تكن من اهل البصيرة في الطب ورايت افاضل الاطبا اتفقوا على شيء
لم تتوقف في اتباعهم فما بالك تتوقف في اتباع هؤلاء وصنف
رابع ليس من النظار في الامور الالهية بل من الاطبا والمنجمين اقتصر نظرهم
على الطبايع الاربع ومزاجها وراوا قوام الروح موقوفا عليها
ولم يتفطنوا لحقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو العارف بالله تعالى
بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار انضجته حرارة القلب
ينتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن ويقوم به الحس
والحركة وهو الروح التي توجد للبهائم ايضا فاما الروح الخالص
الانساني المنسوب الى الله تعالى حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم
يتفطنوا له فظنوا ان الموت عدم محض وانه يرجع الى فساد المزاج
فانت في حق هؤلاء بين امرين اما ان تجوز غلطهم او تعلم قطعا
صحة قولهم فان جوزت خطاهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد

الاحتمال

الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت
باكله فاخبرك صبي ان فيه سما او ان حية ولغت فيه قاسيت الجوع
وتركت الاكل لانك تقول وان كان كاذبا فليس يفوتني الا لذة
الاكل وان كان صادقا ففيه الهلاك ومثل هذا الاحتمال لا يمكن
الهجوم عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستجري
العاقل الهجوم عليه وكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه
الشاعر لعمري مع ركاكة عقله فقال زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات
قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
وان قلت اني اعلم ضرورة صدق هؤلاء وان الموت عدم وانه لا عقاب
ولا ثواب وان الانبيا والاولياء كلهم مغرورون او ملبسون وانما
الذي انكشف له حقيقة الحق هذا الطبيب الجاهل وزعمت اني اعلم
ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من الواحد حتى لا يختلجني فيه ريب
فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج
ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقط يتقاضاك
عقلك ايضا مجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة في الحرية والخلاص
عن اسر الشهوات لا في اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس فهي الم
ناجز يحمل النفس الى احتمال كل ذل وشقة وما المستريح في الدنيا الا تاركها
والزاهد فيها اما طالبها فلا يزال منها في عنا فالمعطل ايضا ان عقل
قليلا بترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها فان
لم تكن في امر الاخرة على تخمين ولا من مشاهدة افات الدنيا على يقين
فانت الاحمق الحمقى المغرورين ولتعلمن نباه بعد حين ولمثلك يقال

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون القسم الرابع
في الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول الاصل الاول التوبة فانها مبدأ
طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وقال وتوبوا الى الله جميعا وقال صلى الله
عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال
صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض
دوية مهلكة معه راحلته وعليها طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الجوع
والعطش او ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا
براحلته فصل حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق
القرب ولكن لها ركن ومبدا وكمال اما مبداها فهو الايمان بالله ومعناه
سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم مهلكة
فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة
في التلافي والحذر بالفعل اما في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال
فبالعزم على الترك واما في الماضي فالتلافي على حسب الامكان وبذلك
يحصل الكمال فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة
على كل واحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
خاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب
مهلكة والانبعاث لتركها واجب هو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة

فكيف

فكيف لا يجب واما وجوبها على كل احد فهو ان الانسان من صفات بهيمية
وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره
والفجور ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ومن
الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب المدح
والاستيلاء فاصول هذه الاخلاق هذه الاربعة وقد عجنت في طينة
الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور
الايمان المستفاد من العقل والشرع واول ما يخلق في الادمي البهيمية
فيغلب عليه الشهوة والشره والفجور في الصبي ثم يخلق فيه السبعية
فيغلب عليه المعاداة والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه
المكر والخداع اذ تدعوه السبعية والبهيمة الى ان يستعمل كياسته في حيل
قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية
وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم بعد ذلك يخلق فيه العقل الذي
فيه مظهر نور الايمان وهو من حزب الله تعالى وجنوده الملائكة
وتلك الصفات الاول من جنود الشيطان وجنود العقل تكمل عند
الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ واما سائر جنود الشيطان تكون
قد سبقت الى القلب قبل البلوغ واستولت عليه والفته النفس واسترسلت
في الشهوات متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد
بينهما في معركة القلب فان ضعف حزب العقل ونور الايمان لم يقو
على ازعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة ابدا كما
سبق الى النزول اولا وقد تسلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال
ضروري في فطرة الادمي اذ لا تتسع خلقة الولد الا لما تتسع له

خلقة الاب وانما تجلى حال ادم صلوات الله عليه وعلى نبينا وصلم ليتنبه
به ان ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء
الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا لا يستغنى احد عن التوبة فصل
واما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله عن ذنب
في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب
تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله تعالى والاشتغال باماطته توبة
لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك
فلا يخلو عن غفلة عن الله تعالى وذلك ايضا طريق البعد ويلزمه
الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وان
كان حاضرا على الدوام وانى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل
عن المقامات الرفيعة وراءه وعليه ان يترقى منه الى ما فوقه ومهما ترقى
منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه يقصر بالاضافة الى ما دركه
وذلك لا نهاية له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة وكل ذلك كان
توبة منه الا ان توبة العوام من الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين
عن الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواضع الريبة وتوبة
المحبين عن الغفلة المنسية للذكر وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام
يتصور ان يكون وراءه مقام والمقامات في القرب من الله تعالى لا نهاية
لها فتوبة العارف لا نهاية لها ايضا فصل التوبة اذا استجمعت شرائطها
فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول ومعنى
القبول ان يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي انوار المعرفة في قلبك

واما

واما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلي كدورات الشهوات والرغبة فيها وترتفع
من كل ذنب ظلمة اليه ومن كل حسنة نور اليه فالحسنات تصقيل للقلب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ونسبة التوبة الى القلب
نسبة الصابون الى الثوب والابدان يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه
على وجهه ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يتيقن حصول
تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يتيقن حصول الاسهال به لانه
لا يدري وجود تمام شروط ادويتها ولو تصورات يعلم ذلك لتصور
ان يعلم القبول في حق الشخص المعين ولكن هذا الشك في الاعيان
لا يشككنا في ان التوبة في نفسها طريق القبول لا محالة فصل
علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار ولا حامل
عليه سوى الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض
البدن لكن هذا المرض اكبر من مرض الابدان لثلاثة اسباب احدها انه مرض
لا يعرف صاحبه انه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه
لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره ربما لم يصدقه والثاني ان عاقبة هذا المرض
لم يشاهدها الانسان ولم يجربها فلذلك تراه يتكل على عفو الله تعالى
ويجتهد في علاج مرض البدن كل جهد والثالث وهو الداء العضال
فقد الاطباء فان الطبيب هو العالم العامل وقد مرض العلماء في هذه
الاعصار مرضا عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك هو حب
الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء فاضطروا الى الكف عن تحذير الخلق
عن الدنيا كي لا تنكشف فضيحتهم فاصطلحوا كيلا يفتضحوا فافتضحوا
لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها

فلهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم
اذا لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه
صخرة في فم الوادي لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء ليشربه غيرها وجملة
القول في علاجه ان ننظر في سبب الاصرار فهو يرجع الى خمسة اسباب
اولها ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يشتهي بما لا يوجد محققا
في الحال وعلاجه ان يتفكر ليعلم ان ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت
وان الموت اقرب الى كل واحد من شراك نعله فما يدريه لعله في اخر ايامه
او في اخر سنة من عمره ثم يتفكر كيف يتعب في الاسفار ويركب الاخطار
خوفا من الفقر في الاستقبال الثاني ان اللذات والشهوات اخذة
بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها وعلاجه ان يتذكر انه لو ذكر له طبيب
نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو الذ الاشياء
عنده كيف يتركه فليعلم ان الله ورسوله اصدق من الطبيب والخلود
في النار اشد من الموت والمرض وليقدر على نفسه انه اذا كان يشق عليه
ترك اللذات اياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان
عن الفردوس الاعلى ونعيمه ابد الدهر الثالث انه يسوف بالتوبة يوما
فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على
ما ليس اليه جهل فمن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب وان اكثر صياح
اهل النار من التسويف لانهم سوفوا حتى جاءهم المرض فساقهم الى الموت
كيف وانما يسوف لانه يعجز عن قمع الشهوات في الحال فانه ان كان ينتظر
يوما يسهل عليه فيه قمع الشهوات فهذا اليوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثال
من امر بقلع شجرة فعجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيؤخر الى السنة

القابلة

القابلة وهو يعلم ان الشجرة كل يوم تزداد رسوخا وقوة ويزداد كل يوم
ضعفا وقصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يعد نفسه
بالعفو والكرم وذلك غاية الحمق ابرزه الشيطان في معرض الدين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني الخامس
ان يكون والعياذ بالله عز وجل شاكا في امر الاخرة وقد ذكرنا علاجه
في خاتمة الاخلاق الذميمة فصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة
وعن الكبائر اهم والاصرار على الصغائر ايضا كبيرة فلا صغيرة مع
الاصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار وتواتر الصغائر عظيم
التأثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على حجر فانه يحدث
فيها حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة باسباب
احدها ان يستصغرها العبد ويستهين بها فلا يغتم لسببها قال
بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني
السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب
ليفتخر فيقول اما رايتني كيف شققته وكيف مزقت عرضه وكيف
خدعته في المعاملة وذلك عظيم التاثير في تسويد القلب الثالث
ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن ان ذلك لكرامته عند الله تعالى
ولا يدري انه ممقوت وقد امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل
من النار الرابع ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله وفي الخبر
كل الناس معافى الا المجاهرين الخامس ان تصدر الصغيرة من
عالم يقتدى به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته وطوبى لمن مات ومات

لحوته صح

معه ذنوبه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم
القيمة وروي ان بعض علما بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى
الله تعالى الى نبي زمانه ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن
كيف من اظللت من عبادي فادخلتهم النار وعلى الجملة فلاباعث على
التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر فضيلة
الخوف الاصل الثاني الخوف وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة
والعلم والرضوان وناهيك به فضلا وقال هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال صلى الله عليه
وسلم رأس الحكمة مخافة الله وقال من خاف الله خافه كل شيء ومن
خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين
فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته
يوم القيمة فصل اعلم ان حقيقة الخوف هو تالم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال لا وقد يكون ذلك الخوف من جريان
الذنوب وقد يكون الخوف من الله تعالى لمعرفة صفاته التي توجب
الخوف لا محالة وهذا اكمل واتم لان من عرف الله تعالى خافه بالضرورة
ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله تعالى واعلم
ان الواقع في مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع فان علم

ان

ان من صفة السبع انه يهلكه ولا يبالي به وان تركه لم يكن لرقة عليه
وشفقته وانه احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد ان يخاف ولله المثل
الاعلى ولكن من عرف انه لو اهلك العالمين لم يبال ولم ينقص شيئا من مملكته
قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن
في الارض جميعا وكم اهلك من عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب
ولم ياخذه رقة وشفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف فان معرفة
الجلال والعزة والاستغنا تورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل انواع
الخوف وافضلها فصل علاج الخوف وتحصيله على رتبتين احدها معرفة
الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع
لا يحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله واستغناه
وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت
كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك
لا يتصور لغيره ولا يصرفه عن تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو
لا يدري ما الذي سبق القضاء به في حقه ولا يدري ما الذي يختم له به
واحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور
ان لا يخاف اما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين
ومشاهدة احوالهم او السماع ذلك فان اخوف الخلق لله الانبياء والاولياء
والعلماء واهل البصيرة واعظم الخلق امنا الغافلون الاغبياء الذين
لا يمتد نظرهم لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله
تعالى وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها
ويهرب منها وترتعد فرائصه اذا راها فينظر اليه فيقلده ويستشعر

www.al-mostafa.com

خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما جاءني قط جبريل الا وهو يرتعد فرقا من النار وقيل لما ظهر على ابليس
ما ظهر عليه طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى
اليهما لكما تبكيان قالا يا ربنا ما نأمن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا
تأمنا مكري فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل لما خلق الله
تعالى النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت
وكان ازيز قلب ابراهيم عليه السلام يسمع في الصلاة من مسيرة ميل
وبقي داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى
نبت المرعى من دموعه وقال الصديق لطائر ياليتني مثلك يا طائر
ولم اخلق وقال ابوذر وددت لو اني شجرة تعضد وقالت عائشة
وددت لو اني كنت نسيا منسيا وقد حكينا احوال الخائفين في كتاب
الخوف والرجاء من كتب احياء علوم الدين فليتامل القاصر عن ذروة
المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين وليعلم انه احق بالخوف
منهم واذا تامل ذلك بالحقيقة غلب عليه خوفه فصل الخوف
سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث
اذا غلب سو القنوط فذلك مذموم فينبغي ان يمزج الرجاء به نعم ينبغي ان
يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد مقارنا للذنوب فاما المطيع المتجرد
لله تعالى فينبغي ان يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله
عنه حيث قال لو نودي ليدخل الجنة جميع الخلق الا رجل واحد
لخفت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل النار جميع الخلق
الا رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك الرجل واما اذا قارب الموت

فالرجا

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

فالرجاء وحسن الظن بربه ينبغي ان يغلب قال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه والرجاء يخالف التمني فان من
لا يتعهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو ممن مغرور وليس
براج وانما الراجي من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب
يتعلق باختياره ثم بقي يرجوا ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان
يمكنه من الحصاد بعد الانبات ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
وعلى الجملة فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب
ومن رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه واقل درجات الخوف
ما يحمل على ترك الذنوب والاعراض عن الدنيا وما لا يحمل على ذلك فهو
حديث نفس وخواطر لا وزن لها يشبه رقة النساء ولا ثمرة لها بل الخوف
اذا تم اثمر الزهد في الدنيا فلنذكر الزهد ومعناه الاصل الثالث في الزهد بلغ
وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى في حق قارون فخرج على
قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن امن وعمل صالحا فتبين ان الزهد من ثمرات العلم وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمته الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له

ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل
غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ولما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وعن معنى الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح
قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال صلى الله عليه
وسلم استحيوا من الله حق الحيا قيل انا نستحي قال تبنون ما لا تسكنون
وتجمعون ما لا تأكلون وتاملون ما لا تدركون وقال من زهد في الدنيا
ادخل الله تعالى الحكمة في قلبه وانطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا
ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقال لا يستكمل العبد حقيقة
الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة
الشيء احب اليه من كثرته وقال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا
ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك
الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا فصل
للزهد حقيقة واصل وثمرة اما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا
وانزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها واصلها العلم وهو النور
الذي يقذف في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح فيه ان الاخرة
خير وابقى وان نسبة الدنيا الى الاخرة اقل من نسبة خزفة الى جوهرة
وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب
والاصل نور المعرفة وثمرة حال الانزوا ويظهر على الجوارح بالكف

الا عن

الا عن قدر الضرورة في زاد الطريق والضرورة من زاد الطريق مسكن
وملبس ومطعم واثاث اما المطعم فله طول وعرض وجنس اما طوله فبالاضافة
الى الزمان واقصى درجاته الاقتصار على دفع الجوع في الحال فاذا دفعه
غدوة لم يدخر شيئا لعشائه واوسطه ان يدخر لشهر الى اربعين يوما فقط
وادناه ان يدخر لسنة فان جاوزها خرج عن جميع ابواب الزهد الا ان لا
يكون له كسب ولا يأخذ من الايدي كداود الطائي فانه ملك عشرين دينارا
فامسكها وقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته
في الاخرة الا عند من شرط التوكل في الزهد واما عرضه فاقله نصف رطل
واوسطه رطل واعلاه مد والزيادة عليه تبطل الزهد واما الجنس فاقله
ما يقوت ولو النخالة واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول
فان نخل فهو تنعم لا زهد واما الادام فاقله الخل والملح والبقل واوسطه
الادهان واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان دام لم يكن
صاحبه زاهدا قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي اربعون ليلة وما يوقد
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار وقيل ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر واما
الملبس فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واعلاه قميص وسراويل
ومنديل من الخشن ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب
قميصين لم يكن زاهدا قال ابو ذر اخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا
غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا
بها الى ابي جهم الحديث وكان شراك نعله قد خلق فابدل بسير جديد فلما

سلم عن صلاته قال اعبدوا الشراك الخلق فاني نظرت اليه في الصلاة
وكان قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما
فتواضعت لربي خشيه ان يمقتني ثم خرج فدفعهما الى اول مسكين راه وقد عد
على قميص عمر رضي الله عنه في خلافته اثنا عشر رقعة بعضها من ادم
واشترى علي رضي الله عنه في خلافته ثوبا بثلاثة دراهم وقطع كميه
من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال بعضهم قومت
ثوب سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق وقال علي رضي الله عنه
ان الله اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي عز وجل صح
بهم الغني ولا يزدري بالفقير فقره واما المسكن فادناه ان يقنع بزاوية
في مسجد او رباط كاهل الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه موضعا خاصا
وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعتها على قدر الحاجة
ولا يرفع بناها ولا يهتم بتجصيصها وفي الاثار من رفع بناءه فوق
ستة اذرع ناداه مناد من السماء الى اين يا افسق الفاسقين ومات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح
عليه السلام بيتا من خوص فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت
وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله
يوم القيمة وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة
الا ما اكن من حر او برد واما اثاث البيت ففيه ايضا درجات وادناها
حال عيسى عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز فراى انسانا

يمشط

يمشط باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب بيده فرمى الكوز واوسطه
ان يستعمل من جنس الخشب واحد في كل غرض ويجتهد ان يستعمل
واحدا في اغراض متعددة قال عمر لعمير بن سعيد وهو امير حمص ما معك
من الدنيا قال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي
احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل فيها واغسل راسي فيها وثوبي ومعي
مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي فما كان بعدها من الدنيا فهو تبع
لما معي فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا وكان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف
وعباءة خشنة فهذه سيرة الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة
فلا اقل من ان يقتصر على قوانها ويجتهد في ان يكون قربه منها اكثر
من قربه من المتنعمين في الدنيا فصل الزهد على درجات احدها
ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا ولكن يجاهدها فهذا متزهد وليس
بزاهد ولكن بداية الزهد المتزهد الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا
ولا يميل اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الاخرة غير ممكن فتسمح
نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري جوهرة وان كان
الدرهم محبوبا عنده وهذا زاهد الثالثة ان لا تميل نفسه الى الدنيا
ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون
المال عنده كالماء وخزانة الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة
ونفورا وهذا هو الاكمل لان الذي يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي
يحبه ولذلك لما ذمت الدنيا عند رابعة العدوية فقالت لولا قدرها

في قلوبكم لماذ متموها وحمل الى عائشة رضي الله عنها مائة الف درهم
فلم تنزعها ولكن فرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت بدرهم
لحما نفطر به عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فهذا هو الغنى وهو اكمل
الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى اذ مغرور يستشعر في نفسه ان لا علاقة
لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق
جميع ماله او يسرق مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به
فصل كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منقصا
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند
ذوي البصائر لا شيء وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه
فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير
الملك فالشيطان كلب على باب الله تعالى فالدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة
الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الدنيا اذ نفنيها بامثالها والاخرة لا يتصور
ان نفنى بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها فصل الزهد باعتبار الباعث
عليه على درجات ثلاث احدها ان يكون باعثه الخوف من النار
وهذا زهد الخائفين والثانية وهي اعلى منه ان تكون باعثه
الرغبة في نعيم الاخرة وهو زهد الراجين والعبادة على الرجا افضل
منها على الخوف لان الرجا يقتضي المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون
الباعث الترفع عن الالتفات الى ما سوى الحق تنزيها للنفس عنه
وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل
صاحبه عن شيء عاجلا ليعتاض عنه اضعافه آجلا فصل الزهد
باعتبار ما فيه الزهد على درجات وكماله الزهد في كل ما سوى الله

لانقطاعها بالنسبة اليه تعالى صح

تعالى

تعالى في الدنيا والاخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الاخرة ثم يدخل
فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك
ان يزهد في المال دون الجاه او في بعض الاشيا دون البعض وذلك
ضعيف لان الجاه الذ واشهى من المال والزهد فيه اهم فصل حقيقة
الزهد ان تزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها واما ان تنزوي الدنيا
عنك وانت راغب فيها فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقير ايضا فضل
على الغني لانه منع عن التمتع بالدنيا قهرا فهو افضل ممن مكن من
التمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم عليه
الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا كانها جنته وتكون كانها سجن
الفقير اذ يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب السعادة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده عن الدنيا
وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وقال يدخل فقراء
امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وقال خير هذه الامة فقراؤها
وقال اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت
الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام
يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير وفقيرة
واعلم ان الفقير اذا كان قانعا بما اعطي غير شديد الحرص على الطلب
فدرجته قريب من درجة الزاهد وقال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه
وسلم الفقراء الصبر جلساء الله تعالى وقال احب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع واوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اطلبني عند

المنكسرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وعلى الصابرون نسخه
الجملة انما يعظم ثواب الفقر عند القناعة والرضا والصبر على الفقر
مبدا الزهد ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره الاصل
الرابع في الصبر قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين
وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال تعالى ولنجزين الذين
صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب وذكر الله تعالى الصبر في القران في نيف وسبعين موضعا
وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منها لم يبال ما فاته من قيام
الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل صلى الله
عليه وسلم مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى عليه السلام
انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون فصل حقيقة
الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية
الادمي الذي هو المركب من شعب ملكية وبهيمية لان البهيمية لم يسلط
عليها الا دواعي الشهوة والملكية لم تسلط عليها الشهوة بل جردوا والملائكة لم تسلط عليهم
للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب
منها فهم يسبحون بالليل والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة
فلم يتصور الصبر للملك ولا لبهيمة بل الانسان سلط عليه جندان
يتطاردان احدهما من حزب الله تعالى وملائكته وهو العقل

مكتبة المصطفى الالكترونية
www.al-mostafa.com

www.مكتبة-المصطفى.com

Source / المصدر :

KING SAUD UNIVERSITY

http://makhtota.ksu.edu.sa